هذه هي المكتبة النادرة الوجود بل الفريدة في بابها التي نسأل ان يكون لصناعتها في عالم المصنوعات شهرة تعود بالخير على من بذل عليها الوقت والمال فيرى من وراء اتقانه اعماله ما يؤمله خيراً والسلام

الرشيد والبرامكة

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

توطئة

ليست الغاية من هذه التوطئة تلخيص اخبار الرشيد والبرامكة. ذلك امر يعرفهُ القارئ اللبيب اذا ما تذكَّر ما قرأهُ في كثير من كتب المؤرخين والرواة او طالع روايتنا هذه فقد جمعنا فيها كل ما رأيناهُ اقرب الى الصواب واولى بالتشخيص وما كان جديراً باظهار طباع الرشيد واخلاق البرامكة واحوال الدولة العباسية فبردناه في سلك الرواية على اصله ما استطعنا مستندين اقوالنا ومشاهدنا الى عدد من المؤلفات الجليلة كما سترى في ذيل الصفحات . لكننا تتنكَّبُ للفائدة الادبية والتاريخية التي جعلناها غايتنا اردنا الآن ان نصدّر المشاهد والفصول بفذلكة موجزة تكشف النقاب عن حقائق وحوادث قد المحنا اليها او ضمناها الى بعضها حفظاً لشروط الروايات الادبية من وحدة الغاية والزمان والمكان والارتباط وان كان التاريخ وصف قسماً منها مشتتاً في ازمنة وامكنة مختلفة

موضوع الرواية ليس بين الحوادث التاريخية التي جرت في زمن الخلافة العباسية حادث اخطر واعجب من نكبة البرامكة اذ تقوَّضت اركان سلطتهم في ساعة غير منتظرة وأكفئت عليهم سماؤهم. فقد اثر المشهد في المعاصرين واضحى عبرة

للخلف بعد السلف تناقلتهُ الكتبة والمؤرخون حتى لا يكاد يخلو كتاب عربي او مجموعة ادبية من شذرة او شعر او نكتة لاحقة به . ولمَّا كانت المقابلة بين العزّ والذلّ من المناظر المؤثرة والدواعي الموضحة لمظم الانقلاب النازل بالبرامكة وكانت غايتنا نقل الاخبار التاريخية والادبية في قالب يقرّبها للنظر والسمع ويطبعها في الذهن فقد اسبتنا الحادث الهامّ بوصف ليلة طرب في منازل البرامكة يوم انتقالهم الى قصرهم الجديد . وقد ذكر الرواة ان نكبتهم كانت عند نهاية هذه الدار التي بالغوا في زينتها وانفقوا عليها التناطير المقنطرة . فجعلنا في منزلهم عددًا من فحول الشعراء وللمغنين ينشدون القصائد والاناشيد احتفاء باسيادهم ومواليهم . وجعلنا موضوع الفصل الثاني المبايعة للمامون وارسال الوفد الى سلطان الفرنجة كارلومان (Charlemagne) فربطنا الفصلين بما يليهما ربطًا محكمًا حتى اذا ما مُثّل الفصل الثالث وشوهدت فيه مشاهد الغدر وتوالت انباء النوازل كان لوصف المذبحة في الفصل الرابع وقع في القلوب اعظم واثقل . امَّا الفصل الخامس فقد سميناه البكاء والندامة وجعلنا فيه شيئًا مما جادت به القرائح القريحة رثاء واسفًا على من كانوا غرّة الزمان وتاجًا على مفرق الأيام . وكانت نكبتهم ليلة السبت مستهل صفر سنة ١٨٧ هجرية (٨٠٣ م)

﴿ سبب نكبة البرامكة ﴾ قد طالعنا كل ما اتصلت اليه يدنا من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة عسانا نكشف القناع عن هذا السرّ المصون . فقد ذهب المؤرخون في الامر مذاهب شتى لم نستطع ان نبتّ رأيًا في ايّها احقّ واصدق . ولا عجب فاننا نجد المعاصرين انفسهم يجهلونهُ فقد ذكر الصولي ان عالية بنت المهدي قالت للرشيد : ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ جعفرًا فلأي شيء قتلتهُ . فقال : لو علمتُ ان قميصي يعلم السبب الذي قتلت جعفرًا به لاحرقتهُ . على اننا اذا ما عرضنا اقوال المؤرخين بعضها على بعض استخلصنا اربعة او خمسة اسباب ادخلناها في الرواية لاعتقادنا ان احدها او مجموعها كلها معًا هو الحقيقة (١ وقد اجمعوا على قصّة العباسة مع جعفر وكان الرشيد

---

١) هذه بعض اسانيد في اسباب نكبة البرامكة : تاريخ الطبري (طبعة ليدن) جزء ٣ : ٦٦٩ و٦٧٣ و٧١٤ والمسعودي (مروج الذهب طبعة باريس) ٦ : ٢٨٧ الخ وابن الطقطقي (النخري في الآداب السلطانية طبعة باريس) ٢٨٨ الخ وغيرهم كابن عبد ربه وابن الاثير والاصفهاني في كتاب الاغاني والاربلي والاتليدي الخ

عقد لهما الزواج دون الخلوة فتجاوزا امره . وقد انكر ذلك ابن خلدون في مقدمته (ص ١٨ طبعة باريس) لاسباب واهنة وهو يؤثر غيره من الاسباب كاستبداد البرامكة بالدولة وتخليتهم سبيل الامير العلوي وسعي الساعين بهم قال :

واما نكب البرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فتغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واجازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هارون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابتي . فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدولة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال وتطلعت اليهم من اقصى الثغور هدايا الملوك وتحف الامراء وقربت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكبروا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم وأسنوا لعطائهم الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تطفهم لما وقد في نفوسهم من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ النبرة والاستنكاف من الحجر والاتقة وكامن الحقود التي بثتها ضغائر الدالة وانتهى بها الاصرار على شاكلتهم الى كبائر المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه ومذل الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله والاستبداد بحمل مقاله حرصاً لدماء اهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه وسأله الرشيد عنه لما وشي به اليه فظن وقال : اطلقته . فابدى له وجه الاستحسان واسرها في نفسه فاوجد السيل بذلك على نفسه وتوهم حتى ثل عرشهم وأكفكت عليهم سماؤهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفاً ومثلاً للاخرين ايامهم . ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممهد الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاورة الرشيد للاصمعي والفضل بن يحيى في سببهم تتفهم انه انما قتلهم النبرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة دون . وكذلك ما تمثل به اسماؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعراء احتيالاً على إسماعه للخليفة وتحريك خاطره لهم وجزل تولته :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال : اي والله عاجز . حتى بشوا بامثال هذه كامن فيرتع وسلطوا عليهم يأس انتقامه . نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال

وهناك سبب آخر يلمح اليه المؤرخون تلميحاً كانهم لا يجرؤون على التصريح وهو انهم يعزون الزندقة للبرامكة وقد صرّح بالتهمة ابن الاثير والمسعودي والطبري وابن بدرون والاربلي وغيرهم . وكان يراد بالزندقة اضمار الكفر او المخالفة لما أمرت به الشرائع الاسلامية او المروق عن الدين الخ . فاي المعاني نعزوهُ للبرامكة . ذهب قوم انهم كانوا يضمرون المجوسية . وقال غيرهم انهم اسلموا لحسن اسلامهم . لما المخالفة للشرائع الدينيّة فلا ندري هل يكون ذلك سبباً لنكبتهم ولا تكاد تجد في زمن الرشيد كبيراً او صغيراً الا وقد جارى اهواءهُ في السرّ وتخلق بالدين . على ان بعض الظروف والاحداس قد حدت ببعض الكتبة العارفين الى اعتبار زندقتهم ميلاً الى الدين النصراني ان لم نقل ايماناً بهِ وتديُّناً ويستشهدون بما جاء في زيارة جعفر لاحدى الكنائس واستشهاد الدمشقي في الرقة بامر الرشيد جزاء اعتناقه الدين المسيحي وتغير الرشيد على النصارى بعد انزال غضبه بالبرامكة وغير ذلك . والله اعلم بالحقيقة

﴿ الاشخاص ممثلو الرواية ﴾ كلهم وصفهم التاريخ وصفاً معروفاً لا يحتاج الى زيادة ايضاح وقد حشينا اقوالهم بالاسانيد حتى اذا اراد القارئ تتبّعها وجدها في مظانها . واجتهدنا ان نحفظ في روايتنا طباعهم واخلاقهم وصفاتهم واشعارهم واقوالهم لتكون الفائدة التاريخيّة واللذة اكمل ولم نرد على الاخبار الموثوق بصدق تاريخها الا في جعلنا للماوي والدين تبنّاهما البرامكة ولم نحدْ في هذا الاختراع عن حدود الامور التي جرى للبرامكة كثير من امثالها

﴿ الرشيد وكارلومان ﴾ كان كارلومان اي كارله الكبير او شارلمان سيداً عظيماً امتدّت سطوته على اهمّ الاقاليم الغربية حتى اصبح بالاسم والفعل سلطان النصارى واميرهم — رغماً عما كان لملك الروم البيزنطي من الاهمية والسلطة على القسطنطينية وغيرها من الامصار — كما كان الرشيد امير المسلمين وسلطان البلاد الشرقية وكانت حدود هذه البلاد متاخمة في بعض اطرافها وكان المسيحيون لا

يزالون يؤمّون القدس الشريف ليتبركوا بزيارة قبر المسيح وكان بنو امية وخلفاؤهم قد جعلوا بلاد الاندلس مقرّهم يسعون في معارضة الرشيد ويسعى الرشيد في معارضتهم وكسر شوكتهم خشيةً منهُ على الخلافة العباسية. ومن ثمَّ لا عجب او بالحري لا بد من ان تكون هنـاك علاقات سياسية بين الرشيد وشارلمان. لكن كتبة العرب قد ضربوا عنها صفحاً امّا جهلًا بها كأن الرشيد قد اضمر سرّها. واما لغـاية في النفس واستئثارًا بمن سواهم . واما لان التواريخ المطوّلة قد فُقد اكثرها . فهذا المسعودي يحيلنـا في مروجه الذهبية الى تاريخهِ الكبير المطوّل وهذا الصولي والصابئ وطيفور وغيرهم قد ابادت الايام معظم تواريخهم فلم ينجُ منهـا الّا قسم او شذرات. وكل يعرف ان اكثر مؤرخي العرب قد يكتفون مرارًا في وصف الخلفاء واخبار الدولة بكتة او بيت شعر او خبر مبتـذل يتناقلونه لفظاً او معنى فلا تكاد تجد نظرًا عامًا او بحثًا جامعاً يشفي الغليل ويعرفك باحوال البلاد ولا نعرف بينهم مَن ذكر شارلمان الّا المسعودي في فقرة وجيزة لا طائل تحتها

امّا كتبة الغرب فقد وصفوا لنا شيئاً من هـذه العلاقات سنةً فسنةً وها نحن نلخصها الآن نقلًا عن المؤرخ اجينارد (Eginhard) المعاصر للحوادث ولعلّهُ كان المشاهد لها بالعين

في سنة ٧٩٦ مسيحيّة هجم العرب على دير القديس سـابا بالقرب من القدس الشريف فشتّتوا شمل رهبـانهِ وقتلوا عدداً منهم وخربوا بيعاً كثيرة في فلسطين واستعبدوا عدداً عديدًا من المسيحيين فارسل البطريرك الاورشليمي راهباً الى شارلمان يطلعهُ على سوء حال النصارى ويقدّم لهُ مفاتيح بيعة القدس الشريف ويسألهُ ان يأخذ بناصر المظلومين ويمدّهم بالمساعدة فامر الملك بجمع الحسنات من كل الاطراف وارسلها مع الكاهن زكريا ووفدٍ قيامهُ ثلاثة من الرسل يسمّون لاظريد وسيجسموند واسحق يعرضون الحالة على هرون الرشيد ويسألونهُ عدلًا ورحمةً وقد عاد الوفد حاملًا لشرلمان سلام الرشيد مع مفاتيح قبر المسيح والجلجلة وجبل الزيتون وبيت المقدس القدسيّة . ولبث وفد الرشيد في ضيافة شارلمان حتى شهر نيسان سنة ٨٠١ حيث ابحر عائدًا الى الشرق

قال اجينارد ما تعريبهُ ملخصاً: كان بين هرون القابض على كل المشرق خلا الهند

وبين شارلمان اتفاق وصداقة وكان هرون يقدّر الامبراطور حقّ قدره ويوثر صداقته على كل صداقة . فلمّا وصل الوفد الزائر وعرف رغبة ملك الفرنج لاستقبال الرسل بكلّ احتفاء واجاز مطاليبهم باجمعها وامر ان يكون المكان المقدّس مختصًّا بسلطان الفرنج وزوّد الوفد بالتحف والألطاف الشرقيّة الثمينة والخلع والاعطار مع فيل عظيم .

وقد وصف احد الشعراء السكسونيين هذا الفيل واخبار الرحلة المذكورة بالشعر اللاتيني وذلك سنة ٨٠٢ على ما اخبر بارونيوس

وقال اجينارد في تاريخ سنة ٨٠٧ : وصل رسول هرون واسم الرسول عبد الله مع راهبين اسمهما جرجس وفيلكس (سعيد) وكانوا يحملون هدايا ملكهم الى الامبراطور وهي خيمة حريريّة بديعة الالوان والنسج والسعة مع خلع من الحرير واعطار وبلسم وساعة غريبة المتدسة . في كل ساعة من الساعات الاثنتي عشرة تسقط كرة على صنج فيسمع لهُ رنّة ويخرج فارس من كوّةٍ وتقفل سائر الكوى (١ الى غير ذلك من الغرائب التي يطول شرحها . وقد عُرضت الهدايا على شرلمان في قصره في « اكس » (لاشابيل) وبقي الرسل في ضيافتهِ مدّة في ايطاليّة ينتظرون الزمن المناسب لركوب البحر (٢

هذا ما رأينا فائدةً في مقدمته وسيعلم القارئ بالمشاهد والحوادث ما تروق لهُ معرفته . وعلى الله التوكيل (حقوق التمثيل محفوظة)

اسماء المشخصين

هرون الرشيد
عبد الله المامون ابنهُ
يحيى بن خالد البرمكي
جعفر بن يحيى
الحسن } ولدا جعفر من العباسة
الحسين }
يحيى بن عبد الله العلويّ
عبد الله ابراهيم رسول الرشيد الى ملك الفرنجة } ولدا يحيى العلوي تبناهما البرامكة
جعفر موسى

١) اطلب وصفًا طويلًا لساعة مثلها في مجاني الادب (٨٣٣ :

٢) اطلب بارونيوس في التاريخ الكنسي سنة ٧٩٦ عدد ٣٠ وسنة ٧٩٨ عدد ١٣ وسنة ٨٠٠ عدد ٢٣ و٢٤ و١٥ و٦١ وسنة ٨٠١ عدد ٣٠ وسنة ٨٠٧ عدد ٤ واننا لا نجهل ان في

الفضل بن الربيع حاجب الرشيد وعدوّ البرامكة
جبريل بن بختيشوع الطبيب
مروان بن ابي حفصة
اشجع بن عمرو السلمي
ابو نواس
الاصمعي
العمري
شعراء
اسحق بن ابراهيم الموصلي
ابن جامع
مخارق
من المغنين
مسرور عبد اسود سيّاف الرشيد
ياسر خادم خائن اهداهُ الرشيد للبرامكة
امراء وخدّام وجنود

الفصل الاول

ليلة طرب في منازل البرامكة

(بستان البرامكة — عن حد برج العلوي — على حدة دار البرامكة تتلألأ فيها الانوار)

المشهد الاوّل

المأمون . الحسن . (وهما جالسان على حدة يلعبان بالشطرنج)

الحسن أُقدّم الرُخ (١

المأمون بخ بخ (٢ ها اني اصنع معك دورًا علّمنيه ابي امير المؤمنين اذ كان يلعب بالشطرنج مع ابيك جعفر (٣ . خذ الفرزان . ثم الفرس . ثم هذا .

الاخبار شيئًا من الخلل في تعداد الرحلات والوفود . اطلب ايضًا البولنديين في اخبار القديسين : شهر كانون الثاني المجلد ٣ : ٤٦٨ ومجموعة بين للاباء اللاتينيين مجلد ١٠٦ : ٤٦٨ وتاريخ روربا خر مجلد ١١ : ٢٤٢ وغيرهم

١) الرُخ والفرزان او الفيرزان والشاه الخ من ادوات لعبة الشطرنج

٢) اسم فعل يقال عند المدح والرضا بالشيء

٣) قال المسعودي (مروج الذهب طبعة باريس ٨ : ٣٩٦) وغيرهُ من المؤرخين ان الرشيد اول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العبّاس وقدّم اللُعّاب واجرى عليهم الارزاق . وللرشيد والمأمون اخبارٌ ونكتٌ كثيرة في الشطرنج ذكرها اصحاب السير والمنتخبات

كُل يا حسن حتى تزيد على الشبع ٠٠٠ما يقتلك يا ابن آدم الّا الطمع

الحسن وبعد؟

المامون اما ترى اني اطعمك لاخدعك؟

الحسن وكيف ذلك؟

المامون قل للحبيب وقمتَ في الفخِّ اوردتْ بشاهك ضربةُ الرُّخِّ

الحسن قد مات الشاه

المامون ارضٌ مربعةٌ حمراء من أدمٍ ما بين إلفين معروفين بالكرمِ

الحسن تذاكرا الحربَ فاحتالا لها فطنًا بغيرِ ان يأثما فيها بسفك دمِ

المامون هذا يغير على هذا وذاك على هذا يغير وعينُ الحزمِ لم تنم

الحسن فانظر الى فطن حالت بمرفقةٍ في عسكرين بلا طبل ولا علمِ (١

المامون لي الدست (٢ (يقومان)

الحسن صدقتَ فأقرّ لك بالغلبة يا عبد الله ان جاز لي ان ادعوك باسمك آخر مرّة وانت سيّدنا وابن سيّدنا وغدا تُقام لك البَيْعَةُ بالخلافة

المامون سألتُك يا حسن ان تدعَ ذكر المبايعة فانها مجلبةُ كآبةٍ وحزن

الحسن ولِمَ؟ لقد زانك الله بالخلال الشريفة والهمّة العالية والفهم الثاقب وافاض عليك من نعمائه كنوزًا لا تفنيها الأيام فضلًا عمّا مكّن لك من الحبّ في قلب سيّدنا امير المؤمنين وجميع اهل الدولة. فانت المطاع والسيد الذي لا يُرَدّ عن مُرادهِ. فما ينقصك؟

المامون ما ينقصني؟ خذ الخلافة واعطني اخًا صدوقًا (٣ بدل اخي محمّد الامين.

---

١) الشعر للمامون (الطب كتاب بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور جزء ٦: ٢٩٢) طبعة مدرسة كلمر سنة ١٩٠٨

٢) كلمة فارسية يراد بها الطب في الشطرنج. تقول الدستُ لي والدستُ عليّ

٣) ذكر صاحبُ كتاب الاغاني في اخبار علوية المجنون أنهُ دخل يومًا على المأمون وهو يرقص و يصفق بيديهِ وينشّي بهذين البيتين:

عزيزي من الانسان لا ان جفوتهُ صفا لي ولا إن صرتُ طوعَ يديهِ
واني لمشتاقٌ الى ظلّ صاحبٍ يروقُ ويصفو ان كدرت عليهِ

فاستظرفها المأمون وقال: خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب (الطب كذلك مجاني الادب ٣: ١٢٢)

قد جرّعني ولا يزال يجرّعني الموتَ انفاساً آناء الليل واطراف النهار وذلك لاني أوثر العلم على الجهل والادابَ على ركوب المعاصي فلا انقاد لاهوائه (١ وقد غلت في صدره مراجلُ البغضاء يوم عرّف مقاصدَ امير المؤمنين في شأني وعزمَه على مبايعتي

الحسن بئس السيرُ سيرُ الامين. ألم يكتب أنه قدّم عليك في الخلافة باغراء امّه زبيدة والحقُّ حقُّك (٢ وانت وحدك اهل للخلافة تقضي ايّام الصبا في الجدّ وراء العلوم والمعارف وهو يقضيها في الهَذَر واللعب ومقامرة الديوك والاكباش (٣

المامون اما سمعتهُ يقول : شرب كاس وشم آس ونوم بلا نُحاس ايجب اليَّ من مداراة الناس (٤

الحسن لا حبذا القول والعمل

المامون لكنّ امي ماتت وامّه هي المسلّطة على الامور وقد ربيتُ في حُجر ابيك كابن لهُ ولك كاخ حبيب . امّا الآن فاني راجع الى قصر الخُلد (٥ بعيدًا

---

١) اطلب في وصف طباع الامين والمأمون كتب المؤرخين والرواة التي سنذكرها في مدار الرواية

٢) كان المامونُ اكبرُ من الامين بستة اشهر . وقد اقرّ الرشيد بالافضلية للمامون كما سترى في الفصل الثاني من الرواية

٣) المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٤٢٤ و ٤٢١) وابن عبد ربه (العقد الفريد ٣ : ٤٢٤) والاربلي (خلاصة الذهب المسبوك ١٢٧) وابن الطقطقي في كتابه المنون الفخري في الاداب السلطانية ٢٩٢ و ٢٩٨ والطبري ٩٥٠ وغيرهم . واخبار الامين في عدم الاكتراث للمهمات كثيرة نذكر واحدة منها . ذكر ابراهيم بن المهدي قال : استأذنتُ على الامين يومًا وقد اشتدّ الحصار من كل وجه فابوا ان يأذنوا لي بالدخول عليه الى ان كابرتُ ودخلت . فاذا هو قد تطلّع الى دجلة بالشبّاك . وكان في وسط القصر بركة عظيمة لها منخرق للماء الى دجلة وفي المنخرق شبّاك حديد فسدّت عليه وهو مقيلٌ على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء في البركة وهو كالواله . فقال لي وقد ثنّيت بالسلام عليه وكرّرت : لا تدري يا هرثمة فقرّطني قد ذهبت من البركة الى دجلة . والمقرّطة اسم سمكة كانت قد اصطيدت لهُ وهي صغيرة نقرّطها بحلقتي ذهب فيهما حبّتا درّ وقيل ياقوت . فخرجت وانا آيس من فلاحه

٤) اعلام الناس للاربلي ١٢٧

٥) القصر الذي كان يقوم فيه الرشيد في بغداد وبغدانه في الجانب الآخر قصور البراكنة

عنك وعن ذويك هدفاً لسبّ الامين وشتمه وليس لي صديقٌ صافي الوداد يشاطرني في خلوتي الافراح والاحزان. أتشاهدني يا حسن عهدَ الله انك ستكونُ لي اخاً مدى العمر وتأتي اليَّ فنغتنم لذّة المطالعة والحديث. فان القرابة تُقطَّع والمعروف يُكفر وما رأيت كتقارب القلوب (١

الحسن (يتصافحان يداً بيد) يعلم الله الذي يرى ما سُطّر في اسرار الافئدة أني أُجلّك كما يُجلّ العبدُ سيّده وأحبك كما يحبّ الاخُ اعزّ اخوته

المامون خذ العهد الثابت عليَّ يا حسن اني ساكونُ ما دمتُ حيّاً لك اخاً ولابيك ابناً

الحسن فنحن جميعاً شريكا عنان.

المامون رضيعاً لبانٍ خليلا صفاء

الحسن جوزيتَ خيرًا فقد جمع الله فيك من السجايا والمكارم ما لو قُسم على عباد الله لكفاهم

المامون دع الاطناب في المدح فانّهُ ليس من سجاء الاخاء وهلمَّ نَرَ هل أُعدّ مجلس الطرب واين الحسين وجعفر

الحسن يا حسين

الحسين (عن بعدٍ) هاءنذا. تعالَ يا جعفر ولا تبكِ

المامون ما لك يا جعفر؟ (يدخل جعفر والحسين)

المشهد الثاني

المامون. الحسن. الحسين. جعفر

الحسين رايتُهُ على حدةٍ يجمع ازهارًا ويبكي وهذا دأبهُ منذ البارحة

الحسن ألا تزال حزينًا؟

المامون ما يَلذُّك من الالعاب فألاعبك؟

بينهم وبينهُ مرض دحلة كما ذكر ابن التقطقى في الفخري (طبعة درنبرغ ٢٨٧) وقد وصف اثارها حضرة الاب انستاس الكرملي في المشرق (١٩٠٧: ٢٠٠ الخ)

١) من كلام المأمون

جعفر لا يَلذّني شيْ
المامون ولِمَ اذًا هذا البكاء ؟
جعفر البكاء نصيبُ اليتيم
الحسن لعن الله ياسرًا الذي اطلعنا واطلعك على هذا السرّ (١
الحسين او هل سآءك امر او غاظك احد ؟ قل لي فأُعلمَ ابانا فيأخذَ لك بحقّك
الحسن تعال معنا نسمع الغناء
جعفر كلا . تُرى اي فرح لولد فقَد اباهُ وهو رضيع لا يدري هل هو حيٌّ او ميتٌ . اين انت يا ابتِ ؟ هلّا اشاهدك فتضمّني الى صدرك فاعيش واموت سعيدًا . يا ليتني اعرف اين انت فاسير اليك ولو في اطراف الارض او طبقات الجو
الحسن قل لي يا حبيبي اينقصك شيْ ؟ ألستَ بيننا كاعزّ الاخوان ؟ أليس ابونا ابًا لك ونحن اخوة ؟
جعفر انكم نِعمَ الافاضل والاكارم آويتم يتيمًا عاثت جنودُ قوم كفرة في بلادهِ وشتّت شملَ ذويه . جازاكم الله اجزل جزاء . لكن . . . دعني عرّفني مَن هو ابي . يا ربّاه ردّ عليَّ ابي . انك الرؤوف اللطيف
الحسين كفّ عن البكاء وتعالَ معنا الى محفل الغناء
المامون (ياخذ وردة من باقة ازهار بيد جعفر) لمن هذه الازهار ؟
الحسين تضوع مسكًا ارض بغداد اذ بدت به وردةٌ في سوسن وقطاقِ
الحسن ما اطيب عَرفها
جعفر لشيخ اراهُ يطوف عند العَتَمة في البستان يُنشد الاشعار ويسكب العبرات ويتضرّع . فاقدّمها لهُ إن قابلتهُ والّا القيتُها على بابِ مخدعهِ
المامون ولِمَ تفعل هذا ؟
جعفر لو انّ لهُ ولدًا لكان لهُ الفًا في وحدتهِ ورفيقًا في خلوتهِ
الحسين ما اعطف سجيّتك وما ارقّ جبلّتك
المامون ومن الرجل ؟

---

١) السرّ ان جعفرًا ليس ابنًا لجعفر وان عاش بين وُلْدهِ كاحدهم

الحسن لا ندري

الحسين ان اباانا قد حرّم علينا الدخول الى بُرجه

جعفر انهُ محبوس

المامون ولماذ حُبس ؟ لعلّهُ عدوّ لامير المؤمنين او زنديق كافر جاهر بالمعصية فجازاهُ الله على سوء اعمالهِ

جعفر لا لا يا عبدالله . شيخ جليل فاضل كريم يواصل الصلاة والعبادة لا تعزُ اليهِ الكفر . وكيف يكون عدوًا لامير المؤمنين وليس للرشيد اعداء الّا الكفّار والفجّار

المشهد الثالث

المامون . الحسن . العلوي . جعفر . الحسين

العلوي (وقد دخل منذ برهة) لستُ كافرًا ولا عدوًا لامير المؤمنين . فاني من انصار حقّهِ واعوان عدلهِ . قد افترى عليَّ المفترون وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون

جعفر اهلًا بسيّدي

العلوي حُيّيت بذلك يا بُني

جعفر (يقدّم لهُ باقة ازهارهِ) قبضة من ابهى الزهور واعطرها اقتطفتها لك

العلوي هُنّئتَ لا تنكدْ يا قرّةَ العين

جعفر هذا ابن الخليفة وهو شريف الاخلاق محبّ للعدل واني لواثق أنهُ سيأخذُ بيدك ويُنجيك من كيدِ ظالمك

العلوي ألا شافعٌ عند الخليفةِ يشفعُ فيدفعَ عني شرَّ ما اتوقّعُ
واني على عُظم الرجاء لخائفٌ كأنّ على راسي الاسنّةَ تُشرعُ
فهل آمنٌ يُمسي ويُصبح عائدًا بعدل امير المؤمنين يُروّعُ (١

المامون كلّا لا يُروّعُ من عاذ بعدل امير المؤمنين . أأنت مظلوم ؟

العلوي يعلم الله

١) الشعر لابي العتاهية (ديوان ٢١٨ وكتاب الاغاني ٣ : ١٥٢)

المامون ان ابي لم يردّ قط سؤلي فاطلب غدًا بعد المبايعة افراجك

العلوي كم أُمنّي بغدٍ بعد غدٍ يَنفذُ العمرُ ولا ألقى غدا (١

قلْ لامير المؤمنين ما قالهُ عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه للمهدي في النوم يوم حبس موسى بن جعفر : يا ابن هاشم هل اردتم منذ توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم (٢

يا رشيد الامر أرشدني الى وجه نجحي لا عدمتَ الرشدَا

أعنِ المظلومَ وارحم صوته وافكَ نحوك يدعوك يدا (٣

المامون فليطمئن قلبك فقد اتاك الفرج

العلوي إني على ثقةٍ من الله عزّ وجلّ الذي بيدهِ ناصية امير المؤمنين. ولن كان قد سبق في علمهِ تعالى ان الحسدة والاعداء يرمونني بالبؤ وان كنتُ بريئًا فالصبر والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة. وانا اودعكم السلام وارجعُ من حيث اتيتُ

جعفر الا تلبثُ معنا لحضور الغناء ؟

الحسن إلبثْ معنا وغدًا يذكر المامونُ حاجتَك لامير المؤمنين

العلوي ليس للسجين سماعُ الغناء. بلغ الله بكم يا كرام الفتيان آكلاً العمر ولسعدهُ (يخرج)

جعفر ما اصعب الحبس على من يحبّ الحرّية

الحسين تعالوا بنا. قد اقتربت الاصوات

المامون ها حاجب امير المؤمنين

المشهد الرابع

الفضل بن الربيع (٤) ياسر (٥) (يدخلان) المامون . الحسن . الحسين . جعفر

---

١) الشعر لابي العتاهية (ديوانهُ ٢٣٠ والاغاني ٣ : ١٥٨)

٢) الاربلي وغيرهُ

٣) الشعر لابي العتاهية (٢٣٠)

٤) كان الفضل بن الربيع من اعداء البراكمة والساعين عليهم حسدًا وبغضًا

٥) ذكر هذا العبد الخائن كثير من المؤرخين كالمسعودي وابن بدرون (في شرح قصيدة ابن عبدون) والاتليدي (اعلام الناس في ما وقع للبراكمة مع بني العباس) وغيرهم

الفضل انتم هنا ايها الفتيان — ان القوم يتأهبون للحضور وهم يطلبونكم

المامون هلمّوا بنا لاستقبالهم (يخرج الاولاد)

المشهد الخامس

الفضل . ياسر

الفضل اين مَن عاهدتني على لقائهم ؟

ياسر ها هم آتون يتودهم ابو نوّاس

الفضل عجّل بهم

ياسر هذه الابيات نظمها ابو نوّاس تبعاً لمرامك . وهو يسألك ان لا تبوح باسم صاحبها (١

الفضل هات (يخرج ياسر) (يقرأ)

قل لامين الله في ارضهِ ومن اليهِ الحلُّ والعقدُ
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا مثلك ما بينكما حدُّ
امرك مردود الى امره وامرهُ ليس لهُ ردُّ

احسن الشاعر لقد طنا البرامكة وتجيبوا

وقد بنى الدار التي ما بنى الفرس لها مثلاً ولا الهندُ
فالدرّ والياقوت حصباؤها وتربها العنبر والندُّ

صدق . ما هذه المقاصير والمساكن والآلات والفرش والخدم والجواري التي لم اجدها في منزل الرشيد . قد بنوا قصرهم هذا بجذاء قصر الرشيد يباروننهُ و يباهونهُ واليوم انتقلوا الى منازلهم . وايمن الله ستكون العاقبة وبالاً عليهم

ونحن نخشى انهُ وارثٌ ملكك ان غيّبك اللحدُ
ولن يُباهي العبدُ اربابهُ الّا اذا ما بطر العبدُ

قد اتى الشاعرُ بما اتاه والبرامكة على شُفر الهلاك . فقد اوغرتُ صدرَ الرشيد عليهم . وهذه الابيات ستكون وسيطةً لاضرام كامن حقدهِ (٢

١) وهي تُنسى لنفر اي نوّاس وقيل لا يُعرف صاحبها (اطلب القرماني في اخبار الدول واثار الأول ١٥١ وغيره)

٢) قيل: ولما قرأ الرشيد الابياتَ اضمر لهم الشرّ

وسأذهب الساعةَ بها الى الرشيد فانهُ بانتظاري وآتي بهِ سرًّا فيرى بعيني كِبر البرامكة واستبدادَهم بالدولة واحتجانهم اموال الخلافة . يشبههم المداهنون بالسلاطين ولكنّ سأرمي بهم من ذُروة العزّ الى دركات البلاء

المشهد السادس

الفضل . ياسر . ابو نواس . اسحق الموصلي . الشجع . مروان . مخارق . ابن جامع

ياسر هاك الشعراء مع ابي نوّاس

ابو نوّاس عبّاسٌ عباسٌ اذا اضطرم الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ (١

الفضل احسنتَ في ابياتك هذه . لكن أتمّ ما تعاهدنا عليهِ

ابو نوّاس نعم

الفضل وانتم هل لكم بثلاث يدًا ؟

ابن جامع من لا تتوق نفسهُ الى ذلك

مخارق هذا ظلي ودِيني وصلاتي وصيامي

مروان وما السبيل اليها

الفضل سهلٌ . ان الوزيرَ يُقيم قبل سفره لخراسان ليلة طرب ذكرًا لانتقالهِ الى هذا القصر البديع وانجازه ما فُوّض اليهِ من تشقيف عبد الله المامون (٢ واعداد رحلة عبدالله البرمكيّ الى بلاد الفرنجة (٣ فعليكم ان تذكروا محاسنهُ ومساعيه ومآثره ومعاليه

ياسر امرٌ والله قريب المتناوَل

ابن جامع قد جئنا لهذا

الشجع وعلى مدح السلطان الاصغر عوّلنا

الفضل على شريطةِ ان تطرأوهم كل الاطراء بما هم اهلٌ لهُ . اليسوا سلاطين

---

١) قال ابن الطقطقي (الفخري ٢٩١) كان ابو نواس من شعراء الفضل بن الربيع المتقدمين اليه . فمن شعره في آل الربيع : عباسُ (البيت)

٢) اطلب المؤرخين

٣) اطلب المقدمة . وسيرد وصف الرحلة بُعيد هذا

الدولة واسُّ الخلافة العبّاسية قد فاقوا بنُبل هِمَمهم وكرم مترلهم على كل من تقدّمهم ويَتعقّبهم من الملوك والخلفاء.

اسحق صدقتَ والله صدقتَ

الفضل وألّا تقولوا شعرًا او مدحًا إلّا فيهم

اشجع ما اسهل شريطتك

الفضل وان غنّى احدكم «بليت هندًا انجزتنا ما تعدْ» تمّ المراد واستحقّ اكرم الجزاء. (١)

ابن جامع هذا غناء حجازي لطيف لابراهيم

الفضل ألا تُغني يا اسحق بلحن ابيك ولك خمس بدَر (٢)

اسحق بئس مَن باع دينَه بدنياه فما ربحت تجارتهُ

الفضل ما مرادُك ؟

اسحق هي انفاسي اهديها للخلفاء والامراء ولا أتاجر بها (٣)

الفضل انت وشأنك

ياسر ما اردتَ الّا اظهار كبر نفسك وبرمكتك (٤)

اسحق اردتُ شرفها

ابن جامع انا ومخارق نغنّي بهذا

الفضل احسنتما فستبدآن اذا ما اشرتُ اليكما

ابن جامع نعم

اشجع ان تكرم الامير بما يسّهل علينا الانشاد

ابو نوّاس ان الاصفر يُزكّي القريحة ويوقد الفطنة

مخارق قليلًا من الاصفر الرنّان ونحن طوع امرك

الفضل خذ

---

١) مقدمة ابن خلدون (طلب التوطئة صفحة ١٠) ٢) روايات الاغاني ١ : ٢٦٦

٣) من كلام اسحق الموصلي

٤) بَرْمَكَ اي تاه وفخر كالبرامكة. لفظة جرت على الالسن ايّام الرشيد ونقلها صاحب الاغاني

ياسر وانا سيدي
الفضل خذوا قسموها بينكم
اسحق لا بارك الله لكم بهذا المال
ياسر قد اقترب الموكب
الفضل (لياسر) وانت وافني غدًا ضحىً في قصر الخلافة
ياسر نعم سيدي (يخرج الفضل) (لها تابع)

علم استنباط المياه

اثر لاحد المشهوري نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

يلعب الماء في حياة الانسان دورًا خطيرًا اذ لا يستغني عنهُ المرء كما لا ندحة لهُ عن قوته اليوميّ . بل قُلْ انَّ للمياه من الفوائد العميمة ما لا يوازيهِ غيرها من العناصر فاذا عُدمت صارت ارضنا جمادًا وعالمنا جثَّةً خامدة . ومن ثمَّ ترى مسئلة المياه تشغل افكار القوم قبل كل شيءٍ اذا ما قصدوا السكنى في مكان ليرووا بها غليلهم ويسقوا مزارعهم . وان كان هذا الامر يهمُّ كل الاقاليم الَّا انهُ في البلاد الحارَّة ألزَم واخطر فلولا المياه لأَضحت هناك الشمس آفةً مهلكة ونارًا محرقة . وهذا ما دعا باهل الذكاء الى ان يراقبوا في جهات الشرق البالغة الحرارة دلائل المياه لحفر الآبار واستنباط الينابيع من بواطن الارض . وكان بين العرب رجالٌ اتَّخذوا التفتيش عن المياه دينهم وجعلوهُ ديدنهم فعُرفوا باسم خاصّ يدعى الواحد منهم بالقُناقِن . قال اصحاب المعاجم في المادَّة «القُناقن البصير في الماء في حفر القنيّ» . وزاد ابن برّي الامر ايضاحًا بقولهِ «القناقن المهندس الذي يعرف الماء تحت الارض» وهو الذي يدعوهُ الفرنج في عهدنا باسم (hydroscope, sourcier)

ومِمَّا وقفنا عليهِ آخرًا في رحلتنا الى القاهرة في احد مجاميع المكتبة الخديويَّة (المجموع ٢٤ ص ٥٣—٧٤) رسالة في علم استنباط المياه دعاها صاحبها «عين الحياه في استنباط المياه» رأينا فيها عدَّة ملحوظات جديرة بالاعتبار يمكن اهل بلادنا ان ينتفعوا بها للبحث عن المياه فاحببنا ان ننشر منها ما يفيد الغرض المذكور

امَّا صاحب هذه الرسالة فهو الشيخ الامام احمد بن عبد المنعم بن يوسف بن